يوتوبيا الشعوب

الثورات العربية المعاصرة
- الثورة المصرية -

البروفيسور / مصطفى عبده محمد خير(*)

المقدمة

هذه الدراسة تحتوي على ثلاثة محاور متراتبة ومتوالية على (يوتوبيا الشعوب)(**) والثورات العربية والثورة المصرية مما كان لما هو كائن ولما ينبغي أن يكون «ماضي وحاضر ومستقبل» من خلال آنية متلاشية لحاضر لا يزول في اتصال ديمومي متتالي ومتوالي ومتعالي.

الثورة المصرية مستمرة منذ وجد الإنسان على ضفاف النيل لبناء أول حضارة إنسانية، من خلال نداءات (بتاح حُتب) والميزان العدلي في (الماعت)، ثم نداءات (اخناتون) من خلال مدينته الفاضلة (اخيتاتون) إلى ندءات (حسن حنفي) بالفكر المتصاعد، من العقيدة للثورة، ومن النقل إلى العقل ثم إلى المجال الإبداعي.

لنرى ما كان في الفكر الثوري المصري لننتقل لما هو كائن في تآلف الثنائيات المتخالفة في الثورة المصرية لنصل إلى دولة راشدة ما بين (الدينية والمدنية) أي (العدلية) ليحكم الشعب على نفسه بنفسه، وقد كانت الثورة تعتمل في صدور المصريين كامنة وخافتة إلى أن تفجرت في ميدان التحرير «ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م».

لنقرأ ما كان قبل الثورة وما هو كائن أثناء الثورة وما ينبغي أن يكون بعد الثورة. استخدم الثوار التقنية الحديثة في إحداث الثورة من خلال فكر منداح، وتوصلت الثورة

(*) أستاذ الجماليات بجامعة النيلين - السودان.

(**) يوتوبيا الشعوب- أمل الشعوب لدولة عدلية.

إلى نهج جديد ومستحدث في الثورات المعاصرة (الربيع العربي) باستخدام التكنولوجيا الحديثة.

عليها أن تستخدم نفس الأسلحة الحديثة لخلق مجتمع معلوماتي ومجتمع معرفي وحكومة الكترونية، ليس بالمعارف التقليدية والكلاسيكية في (الديمقراطية الانتخابية)، لتنتقل إلى (الديمقراطية العدلية) لبناء دولة عادلة في حكم الشعب على نفسه بنفسه في وضع القرارات والمتابعة والإنجاز ثم المراقبة واللحاسبة لتحقيق يوتوبيا الشعوب- أمل الشعوب في (الكرامة الإنسانية) (والعدالة الاجتماعية) (والحرية المدنية) والتي نادى بها الإنسان المصري عبر التاريخ من (بتاح حُتب) إلى (اخناتون) إلى (حسن حنفي)، لتحقيق إنسانية الإنسان المهدرة، وكرامته المسلوبة، وحريته المفقودة.

والمحاور التي سوف نسير عليها في هذا المبحث هي:

١- الثورة في الفكر المصري القديم- ما كان.

٢- الثورة في الفكر المصري المعاصر- ما هو كائن.

٣- يوتوبيا الشعوب، والديمقراطية العدلية- ما سيكون- وما ينبغي أن يكون.

المحور الأول: الثورة في الفكر المصري القديم- ما كان

١- اخناتون أول ملحد فيلسوف يقود ثورة ضد نفسه الفرعونية:

انفعل إنسان وادي النيل بالنيل، فكلما تأمل جريان النيل تخيل الأزلية والأبدية، وانفعل بشروق الشمس وغروبها المتعاقب فتولدت لديه تصورات شكلت نواة عقديته التي أصبحت عماد الحياة ومحور الأدب وموضوع الفن والسياسة، فتوصلوا إلى عقيدة «التوحيد» وفلسفة الحياة والموت، وتخيل الحياة بعد الممات، فجاشت نفسه بملامسة الطبيعة فتكلم الحجر الأصم بتماثيل ومعابد تميزت بطابع الجلال معبرة عن (الخلود) والأبدية فتكونت الحضارة المصرية الشامخة لتحكي عن حضارة مصر الخالدة.

وأن الفكر الحضاري المصري القديم نشأ ليحفظ الحياة بعد الممات تأكيدًا لخلود الروح والجسد، وهذا مما جعل تميز الحضارة المصرية عن باقي الحضارات القديمة، حيث كانت عقيدتهم في (الخلود) السبب في خلود حضارتهم عبر العصور[١].

وفي محاولتهم لتخليد (الجسد) كما الروح الخالدة، كان تحنيط الجسد- حتى لا تضل الروح ليبعث الجسد في الحياة الأخرى الخالدة. ومن التحنيط انبثقت علومهم، فكان علم التشريح، وعلم الأدوية، والطب، والصيدلة، والهندسة، وعلوم الأرض، وعلوم المياه والعمارة، وغيرها من العلوم فكانت بداية لحضارة علمية وعملية.

وكان قدماء المصريون يدفنون موتاهم على شكل (القرفصاء) في مقبرة بيضاوية الشكل، لوضع الميت على شكل جنين ليخرج من رحم الأرض كما خرج من قبل من رحم أمه. وكانوا يضعون مستلزمات الميت في المقبرة للحياة الثانية الخالدة، ولكن استعاضوا ذلك برسمها على جدران المقبرة حتى لا يسرق اللصوص تلك المستلزمات والأموال، فكانت المقبرة عبارة عن حجرات تحت الأرض، وبنوا على المقبرة مسطبة بارزة لتهتدي الروح لمكان المقبرة، وازدادت المساطب حتى كان الهرم المدرج، وكان أول هرم مدرج هو هرم (زوسر) حتى تطورت إلى إهرامات، فكانت اهرامات الجيزة «خوفو وخفرع ومنكاورع» وكل الاهرامات بُنيت لحفظ جسد الملك الميت إلا هرم (ميروب). ومن المعلوم فيزيائيًا أن الشكل الهرمي يحفظ الجسد من الفساد، وذلك لتكسر الأشعة الكونية، فلا يتحلل الجسد ليبقى كما هو بدون أن يتحلل.

وهكذا نبعت الحضارة المصرية القديمة من خلال فنونهم والتي خرجت من خلال عقيدتهم في الخلود (للروح والجسد) وارتبطت فنونهم بعقيدتهم فكانت فنونًا (مقدسة) ومثالية، ولهذا استحكم الكهنة على مسار الفنون ليستحكموا على العقيدة وعلى العبادة الوثنية ليكبلوا الشعوب بتلك الأمراس الوثنية وقدسية الفنون فكانت فنونهم تحكي عن الآلهة والكهنة وقدسيتهما، فكانت فنونهم مقدسة لها قوانينها القدسية ليتحكم فيها (الكهنوت) باستخدام العبادة القدسية في المعابد وجعلوا الدين في خدمة الآلهة وخدمة سدنة الآلهة أي الكهنة، ورفعوا الملوك إلى مصاف الآلهة، وهي محاولة من الكهنة للسيطرة

(١) مصطفى عبده- اخناتون والثورة الفنية الجمالية- مؤتمر الجمعية الفلسفية- ٢٠٠٧م، القاهرة.

على الشعب المصري من خلال الأسر الكهنوتي والقيد الوثني لإذلال الشعب والسيطرة عليه لاستبعاده واستغلاله من خلال الاستبداد. (استعباد واستبداد واستغلال) بمثل الاستعباد (الفرعون)، ويمثل الاستبداد (هامان) ويمثل الاستغلال (قارون).

وهكذا كان حال المصريين بين استبداد واستغلال واستعباد من خلال العبادة الكهنوتية والوثنية، حتى ظهر (اخناتون) - المخلص - ورفع رايات الحرية لا استعباد، ولا استغلال ولا استبداد، من خلال ثورته (الدينية والفنية والسياسية والفكرية).

وكان (اخناتون) أول ملك فيلسوف- في التاريخ- يقود ثورة ضد نفسه الفرعونية، وضد قدسية الفنون وقدسية الفراعنة وقدسية الكهنة، وضد تحكم الكهنة، في مناداته بالتوحيد ونبذ الآلهة الكثيرة ودعا إلى فن واقعي وجمالي بعيدًا عن القدسية فكان الفن الذي دعا له (اخناتون) حبًا جديدًا للحقيقة الواعية وحساسية ورفاهة، وتصوير للحياة الباطنة، حاوية للمعاني الجمالية المرهفة، وهذه أول ثورة (سياجمالية) أي سياسية من خلال ثورة جمالية.

وقد أسس اخناتون أول مدينة فاضلة في التاريخ قبل عشرة قرون من جمهورية أفلاطون (اليوتوبيا) المثالية الخيالية - وقد سماها المدينة الفاضلة (اخيتاتون) أي (أفق أتون) في تل العمارنة رمزًا للحرية الإبداعية والحب والجمال، وهو يردد أناشيده (لأتون) في قوله:

أنت ساطع وقوي

وحبك عظيم وكبير

أشعتك تمد بالبصر كل واحد من مخلوقاتك

ولونك الملتهب يجلب الحياة إلى قلوب البشر

عندما تملأ بحبك الأرض ومن عليها

وقد غير اخناتون اسمه من (امنحوتب) أي (آمون راض) إلى (اخناتون) أي (المفيد لأتون). وفي ثورته ألغى عبادة (آمون) ونادى بالتوحيد في عبادة (أتون) - أي القوة الكامنة فيما وراء الشمس - أي (الله) جل جلاله، فيقول اخناتون في بعض أناشيده لأتون:

أنت الواحد الأحد لا شريك لك

يا إله الشمس يا من لا شبيه لك

أيها الإله المعبود أنت واحد أحد

أغضب ذلك كهنة الآلهة المتعددة فاغتالوه، ولكن آراءه وفكره وثورته مازالت تتردد في أنحاء مصر عبر العصور حتى العصور الحديثة والمعاصرة.

وثورة اخناتون هي ثورة فكرية وفلسفية وسياسية من خلال ثورته الدينية والجمالية، وهي تمجد الحب، وتعطي للحرية مكانتها الاجتماعية وللجمال جلاله. فقد كانت الأساليب القديمة - ما قبل اخناتون - كهنوتية وقدسية ومثالية تعطي للملوك والحكام والكهنة قدسية مصطنعة. وقد بشر اخناتون في ثورته التجديدية بالحب والمساواة والعدالة، وجعل الإبداع والممارسة الجمالية جماهيرية تحكي عن الشعب والحياة الواقعية. فكانت فترة تل العمارنة قمة حضارية للحياة الاجتماعية والسياسية وتعبيرًا عن انفعالات الشعوب وفي تحقيق العدالة والطمأنينة والسلام، ويمكن لنا القول: فترة ما قبل اخناتون وما بعده.

ولم يكن اخناتون هو أول من نادى بالتوحيد في القرن (١٤ ق.م.) وما تبع هذا الاعتقاد من حياة اجتماعية وسياسية وثورية وفكرية، وقد سبقه من نادى بالعدالة في الحياة الاجتماعية ونظم الحكم الصالح - (بتاح حُتب) والميزان العدلي في (الماعت).

٢- فكر (بتاح حُتب) الأخلاقي والميزان العدلي في (الماعت):

فقد ظهرت الفلسفة النظرية والتطبيقية والاجتماعية منذ القرن (٢٧ ق.م.) بظهور (بتاح حُتب) حيث الميزان العدلي الذي وزنت فيه العدالة وكان (الماعت) يعني العدالة والنظام السياسي كأول ثورة فكرية في مصر القديمة.

وكان (الماعت) لب الفكر والفلسفة المصرية القديمة في (أون- وآنو- وواست) وظهر في هذه المدن القديمة حكماء وعلماء لهم مذاهب فلسفية مثل المذهب الشمسي والمذهب الأشموني والمذهب المنفي[1] ونحن نضيف إلى هذه المذاهب المذهب (الاخناتوني).

وقد قدم (بتاح حُتب) في القرن (٢٧ ق.م.) تعاليم أخلاقية كأول رائد للفكر الأخلاقي في مصر القديمة حيث أوضح رأيه في المعرفة والفضيلة والسياسة، مقارنًا بين العلم والقيم

(١) راجع كتاب الدكتور مصطفى النشار - في الفكر الفلسفي في مصر القديمة. الدار المصرية السعودية للنشر، القاهرة ٢٠٠٤م.

الأخلاقية، وهي الحكمة النظرية والتي اطلقت عليها فيما بعد بـ(الفلسفة) في القرن الخامس قبل الميلاد عند اليونان بمعنى (محبة الحكمة).

ويدور فكر (بتاح حُتب) الأخلاقي حول (الماعت) للدلالة على كل ما يفيد العدل والنظام والخير والصلاح، والتي أخذت مكانة سامية في فكر (بتاح حُتب) الأخلاقي والسياسي، ويمكن القول بأن هذه الأفكار أول ثورة فكرية تنادي (بالحرية المدنية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية) وهو نفس الشعار المرفوع للثورات العربية في (الربيع العربي)، وثوار ميدان التحرير بالقاهرة، ونداءات حسن حنفي.

وبذا يكون (بتاح حُتب) سبق اخناتون بـ(١٤) قرن، ويكون (اخناتون) قد سبق (أفلاطون) بعشرة قرون، وجمهورية أفلاطون جمهورية مثالية وخيالية إلا أن مدينة (اخيتاتون) مدينة واقعية في (تل العمارنة)، حيث طبق أخناتون أفكاره الدينية والجمالية والسياسية في تلك المدينة الفاضلة (يوتوبيا حقيقية).

ويكون بذلك (أخناتون) أول ملك فيلسوف يقود ثورة ضد نفسه الفرعونية وضد الفساد الكهنوتي والانحرافات الوثنية بالدعوة للحرية والعدالة والكرامة الإنسانية، وممارسة الحرية الإبداعية والفضيلة الأخلاقية، والثورات الإيجابية بالجمال والمحبة والحرية في ثلاثية (الأسر) المطلوب والمحبوب والمرغوب.

لا يريد أي إنسان أن يكون مأسورًا إلا في ثلاثة: أسر مطلوب في (الحرية)، وأسر محبوب في (الحب)، وأسر مرغوب في (الجمال). وقد نادى أخناتون بهذه الثلاثية في ثورته الفكرية والدينية والسياسية والاجتماعية والإبداعية.

هذا (ما كان) من الثورة المصرية لننتقل إلى (ما هو كائن) لنصبوا إلى (ما سيكون).

واستمر الفكر الإبداعي الاخناتوني حتى العصور الحديثة والمعاصرة، خاصة في تماثيل (محمود مختار) وبالأخص تمثال (نهضة مصر) بالقاهرة، وتمثال (الإخصاب) بالإسكندرية واستمرارية الحياة المصرية، والصحوة الفكرية الإبداعية الثورية(*).

(*) راجع مقالنا عن ثورة اخناتون على التسلط في الفكر والفن- ندوة الجمعية الفلسفية المصرية- جامعة قناة السويس ٢٠٠٧م، وعن مقالنا عن الرمزية الحياتية في الفن نصب العجل آبيس الإخصاب والحياة- الإسكندرية- ٢٠٠٨م.

نجد النداءات الاخناتونية في (الحرية) أسر مطلوب، و(الحب) أسر محبوب و(الجمال) أسر مرغوب. ولكل منهم درجات:

أ) سلم الحرية ومراتبه (أسر مطلوب):

١- إرادة فاعلة باطنية نفسية.

٢- فعل وعمل وتطبيق للحرية.

٣- تطلع للكمال من خلال الجلال والجمال.

٤- عشق الحرية، وتألق إبداعي.

٥- توازن بين المادة والروح.

٦- تحرر مستمر بالفعل الإبداعي للحرية.

٧- مهمة إبداعية دائمة داخل (أسر الحرية).

ب) مدارج الحب ومراميه (أسر محبوب):

١- الحب الجنسي - (أناني، عذري، عاطفي).

٢- الحب الأسري - (الأبوة والأمومة والبنوة والأخوة).

٣- حب الآخرين - حب الكائنات والأشياء المحبوبة.

٤- حب الخير - في محبة الحب نفسه من أجل الحب - (حب فلسفي إبداعي).

٥- حب القيم - قيم (الحق والخير والجمال) - ميل جميل نحو الجمال.

٦- الحب الإيثاري - حب واجب وإيثار الآخر عن النفس.

٧- حب الحبيب المصطفى - والعشق الإلهي.

ج) أنواع الجمال وتدرجه على مراحل (أسر مرغوب):

١- جمال جميل (متخيل) ذاهب بالتقادم العمري (موقوت).

obeikandl.com

٢- جمال ظاهري متطلع مدهش ظاهريًا.

٣- جمال جاذب فتان (مظهري) باروكي.

٤- جمال مبدع متألق.

٥- جمال جلالي مهيب.

٦- جمال نوري (متحلي).

٧- جمال رائع (متجلي) متسامي خالد.

تتفق هذه النداءات الاخناتونية الفكرية في (الحرية والحب والجمال) تتفق مع نداءات الشعوب في (الحرية المدنية) و(العدالة الاجتماعية) و(الكرامة الإنسانية). والتي نادى بها حسن حنفي، وهتفت بها جموع الثوار بميدان التحرير بالقاهرة من خلال نداءات (حسن حنفي) والفكر المتصاعد.

المحور الثاني: الثورة في الفكر المصري المعاصر- ما هو كائن

١- تآلف الثنائيات المتخالفة في الثورة المصرية:

في المحور الأول رأينا كيف أن الإنسان المصري قام بثورات رافضًا للظلم والقهر منذ فجر التاريخ بدءا بثورة (اخناتون) وما تلتها من ثورات والتصدي للعدوان والهجمة المغولية على الأمة الإسلامية في معركة (عين جالوت) وانهزام الجيش المغولي الذي لم ينهزم، وكذلك تصدي جيش صلاح الدين الأيوبي للجحافل الأوربية في موقعة (حطين)، وإنقاذ العالم العربي من الهجمة الصليبية الغربية، وإعصار الشرق المغولي.

ثم كانت ثورة (١٩١٩) بقيادة عرابي، وثورة (٢٣ يوليو ١٩٥٢) بقيادة جمال عبد الناصر والانتصار للشعب، ومن ثم كانت (هزيمة يونيو) ١٩٦٧م، وحرب الاستنزاف ومعركة (العبور) وتحطيم خط (بارليف) ١٩٧٣م، واستعادة الكرامة العربية والانتصار على الجيش الإسرائيلي الذي لا ينهزم كما يزعمون، ولكنهم انهزموا.

وتحولت مصر الثورة والقائدة للعروبة إلى (شرطي مرور) لقوى الاستعمارية والصهيونية. فكان لابد من استعادة مكانة مصر الدولية فكانت ثورة الشعب المصري في (٢٥ يناير ٢٠١١م) لتحقيق ثلاثية المطالب الشعبية في (الكرامة الإنسانية) و(العدالة الاجتماعية) و(الحرية المدنية). من خلال ثورات الشعوب العربية (الربيع العربي)، ومن الأسباب الجوهرية لقيام الثورات العربية:

١- الفساد والإفساد والانحراف الأخلاقي.

٢- الاستعباد، والاستغلال والاستبداد.

٣- لتحقيق (الحرية المدنية، والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية).

٤- الحكم الأسري وتقريب ذوي الولاءات و إبعاد ذوي الكفاءات.

٥- عدم تطبيق مهام الحاكم والمحكوم، وتغيير المفهوم العدلي للحكم.

٦- الحكم هو حكم (بين) الناس وليس حكمًا (على) الناس.

٧- الاعتماد على النظم الأمنية القمعية.

٨- استغلال ثورات البلاد وتبديدها بل سرقتها.

٩- استعباد الشعوب ومحاولة إذلالها.

١٠- استبداد في الحكم والظلم الاجتماعي.

ولهذا كانت الثورات العربية (ربيع الثورات العربية في (تونس) و(مصر) و(ليبيا) و(اليمن) و(سوريا) والبقية آتية بإذن الله.

نجد التناسق (الانزمكاني) في الثورة المصرية في تناسق الإنسان المصري مع الزمان والمكان:

١- الإيقاع الزماني وعطاءاته المتغيرة المتتالية.

٢- والإيقاع المكاني وعبقرياته المتجددة المتوالية.

٣- والإيقاع الإنساني و إبداعاته المتطورة المتعالية.

فكانت عبقرية المكان في (ميدان التحرير) من تآلف الثنائيات المتخالفة- إذ لابد من تخالف حتى يكون التآلف.

وقد وجد الإنسان نفسه من خلال ثنائية متخالفة لتتآلف ما بين حيوانات منوية ذكرية (yx) (٢٣) كروموزوم، مع البويضة الأنثوية (xx) (٢٣) كروموزوم، ليكون الناتج (٤٦) زيجوت. نجد هذه الثنائية في الحيوانات والنباتات وفي الأشياء من سالب وموجب، ليخرج الناتج الثالث من خلال تآلف تلك الثنائيات المتخالفة.

١ + ٢ = ٣ الثلاثة جمع ١ + ٢ ومتولدة عنهما وخارجة منهما ومن مجموعهما، ليس (الثلاثة) هو هما بل هو شي ثالث ناتج عنهما، مختلف عنهما وهو منهما.

وقد خلق الله الكون من خلال ثنائية زوجية في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الرعد: ٣]، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات: ١٣].

وهكذا نجد التخالف المتآلف في (ميدان التحرير) بطريقة مدهشة في تآلف المتخالفين مثلًا ما بين (مسلم ومسيحي) (سني وشيعي) (سلفي وعلماني) (عالم وأمي) (منقبة وسافرة) ساكني القصور وساكني القبور) (ساكني حي بولاق وساكني حي جاردن ستي) (اسكندراني وأسواني) (أهلاوي وزملكاوي) (أزهري وقسيس).

هذه الثنائية كانت بداية الثورة المصرية الشعبية بقيادة شبابها لم يروا غير الظلم والجور والاستغلال والتهميش، وهكذا كانت بداية الإنسان ووجوده من ثنائية جزعية.

وفي هذا المنحى يقول عالم الهندسة الوراثية المرحوم أحمد مستجير فيقول: «فقد بدأت الحياة بلا جنس بالتكاثر اللاجنسي (الخضري) واستمرت الحياة طويلًا على هذا المنوال خاصة النباتات ثم كان التكاثر (الجنسي) يعني تكاثر يشترك فيه اثنان حيث يحدث من خلالهما انقسام منصف ثم يحدث الإخصاب بالتحام جامطات مؤنثة بجامطات مذكرة لينتج (زيجوت- أمشاج)».

هنا يحدث الزواج الحقيقي حيث يحتضن كل كروموزوم من الأم الكروموزوم النظير من الأب، وبهذا نستطيع أن نقول أن الإنسان يبدأ حياته منذ اللحظة الأولى من خلال تمازج وعناق في (محبة) يعطي كل منهما فيه للآخر بعضًا منه يتبادلان المقاطع يمتزجان ليخرج الاثنان من العناق وبكل بعض من الآخر، هذا هو الحب بأسمى معانيه يجري داخل (D.N.A) مؤشبة كروموزومات خليط في تقابل ثنائي في الأجنة في محبة ثنائية متبادلة يحدث هذا في المراحل الأولى لتكوين الجنين من خلال أمشاج[1].

وبدخول الروح في (المضغة) - روح قدسية و إلهية - يتحول الإنسان من إنسان بالقوة إلى إنسان بالفعل لينتقل من الحياة المستمدة من آخرين (أب وأم) إلى حياته الخاصة به، وهذه النفخة والنفحة الإلهية ليست حياته فقط- مثلما هي في الكائنات - فهي نفخة «معلوماتية وأداتية وقيمية وعقائدية و إبداعية وأخلاقية وجمالية وثورية» أي (إنسانية).

وهكذا تآلف الإنسان المصري في ميدان الحرية حتى كانت النتيجة (الانتصار). وكانت هذه النتيجة نتيجة لتآلف الثوار باختلاف مذاهبهم ومعتقداتهم ومشاربهم. فيجب أن يستمر هذا التآلف لتتصاعد الثورة وتحقق النتائج المرجوة والتي من أجلها كانت الثورة، فميدان التحرير رمزية لتآلف الثورة في «ربيع الثورات العربية» إلهامًا للشعوب العربية بأن تنتفض ضد الاستعباد والاستغلال والاستبداد لتحقيق (العدالة الاجتماعية) واستعادة (الكرامة الإنسانية) من خلال (الحرية المدنية والسياسية)، من خلال ثلاثية الأسر المطلوب في (الحرية) والأسر المحبوب في (الحب) والأسر المرغوب في (الجمال).

كلمة (الحرية) أغنى المفاهيم الفلسفية عن التعريف مثلها مثل كلمة (الجمال) وكذلك كلمة (الحب) وهي مفاهيم واسعة وشاملة يشعر بها الإنسان ويصعب عليه تعريفها، وتعريفها يحددها، وإذا ما تحددت الحرية تحولت إلى (جبرية)، فالحرية ما نشعر به وحضور للذات أمام أنفسنا، وهي الملكة الخاصة التي تميز بها الإنسان (الحرية والحب والجمال).

---

(١) أحمد مستجير: الفلسفة التطبيقية - لخدمة القضايا القومية، الدار المصرية السعودية ٢٠٠٤م، مقال تحت عنوان الثورة البيولوجية - تحرير مصطفى النشار - صـ٣١٣.

والحرية ليست على نقيض من الحتمية أو الضرورة، بل هي على النقيض من العبودية أو الاسترقاق، ومهمة الإنسان تنحصر في القيام بعملية إبداعية مستمرة في التحرر من الاستعباد والاستبداد والاستغلال.

فالحرية تعبير عن الشخصية الإنسانية، وفي تأكيد وجوده الذاتي بتأكيده حريته الفاعلة.

وهنا يشبه هنري برجسون «الفاعل الحر بالفنان الحقيقي المبدع»[١] والحرية ليست حالة واقعة وإنما هو فعل أو عملية وقد تكون كلمة (تحرر) أصدق تعبير لها[٢].

صحيح أن الحرية عبارة عن عملية تحرر، فالحرية لا تظهر إلا عندما تريد ذاتها وإرادتها لذاتها، إنما تعي إرادتها لقيمتها فلا تكون الحرية إلا حينما تعمل في اكتساب ذاتها.

ويمكن لنا أن نستخلص من مذهب (فيتشة)- فيلسوف المقاومة- حينما يقول أن الحرية ليست من المعطيات الضرورية، بل هي إنتاج تلقائي، فليست الحرية عنده واقعة بل فعل من معطيات التجربة، بل نحن نشعر بحريتنا في اللحظة التي نحقق فيها تلك الحرية[٣].

فالحرية في صميمها جهاد دائم وصراع مستمر من أجل التحرر لأنها فاعلية مستمرة ونشاط دائم وجهد لا ينقطع وفي ذلك يقول زكريا إبراهيم: «الحرية الإنسانية حرية مجاهدة»[٤] فعملية التحرر هي مرحلة بحث عن القيم والسعي إلى تحقيقها والتطلع لما ينبغي أن يكون عليه من خلال ما هو كائن آخذًا بما كان.

وعملية التحرر هذه هي عملية إبداع القيم، والإنسان الحر هو الكائن الجمالي المبدع، والكائن الأخلاقي المستقيم، والكائن المنطقي المعتقد، في تضافر القوى الإبداعية القيمية في (الحق والخير والجمال) لتحقيق القيم في البحث المستمر بالتعالي والتسامي والتحرر المستمر بالتخلي والتحلي والتجلي- في تحقيق مطالب الشعوب الثلاثية:

---

(١) زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية- صـ١١٩.
(٢) المرجع السابق، صـ١٩.
(٣) مصطفى عبده- فيتشة فيلسوف المقاومة- ندوة- مراجعة أعمال حسن حنفي- ديسمبر ٢٠٠٥م، صـ١٤.
(٤) زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية- صـ١٩٩.

١- الكرامة الإنسانية.

٢- العدالة الاجتماعية.

٣- الحرية المدنية.

وهي نداءات:

١- بتاح حتب والميزان العدلي في (الماعت) في القرن (٢٧ ق. م.).

٢- واخناتون والمدينة الفاضلة (اخيتاتون) في القرن (١٤ ق. م.).

٣- وحسن حنفي والفكر المتصاعد في القرن (٢١ الميلادي).

٢- نداءات (حسن حنفي) - الفكر المتصاعد:

الإنسان المعاصر في أزمة، خاصة الإنسان العربي، والأزمة ليست أزمة اقتصادية أو سياسية أو عسكرية، بل هي (أزمة فكرية) وللفلسفة دورها الحضاري في التطور الحضاري والفكري ودورها الرائد في بلورة الفكر الإنساني، ودورها في تفجير الثورات. يمكن مراجعة تاريخ الثورات والفكر الفلسفي المصاحب لهذه الثورات الشعبية، حيث يعمل الفكر الفلسفي في إيقاظ الجانب الإيجابي من الثورات.

العالم الغربي والعالم العربي كلاهما ينحدر نحو الهاوية، ولكن كل على سفح مختلف. فيجب إنقاذ العالم من هذا التردي والواقع المهين. ولهذا التردي الحضاري والتهديد القمعي للشعوب من حكوماتها التي جثمت على صدرها ردحًا من الزمن. تصدى لهذا التهديد نفر كريم من مفكري العرب بمشاريع وأطروحات دفاعية لمشروع حضاري منهم:

١- أ. د. حسن حنفي: ونداءاته المتصاعدة في الفكر العربي، وقيادته لثورة فكرية (فلسفية) معاصرة من العقيدة إلى الثورة، ومن النقل إلى العقل و إلى المجال الإبداعي.

٢- أ. د. طيب تيزيني: ومشروع رؤية جديدة للفكر العربي من التراث إلى الثورة.

٣- أ. د. محمد أركون: في تفكيك مفهوم العقل من خلال مساءلة العقل.

٤- أ. د. محمد عابد الجابري: التوازن في التحليل البنيوي، وقراءة جديدة للنص.

٥- أ. د. نصر حامد أبو زيد: سلطة النص وتجديد المفاهيم وتمديد المجال الإبداعي.

ولا يسعنا إلا أن نتوقف قليلًا لسبر أغوار الفكر العربي والإسلامي المعاصر لمفكري العرب في محاولتهم لتجديد المفاهيم، وبعث العقل العربي والإسلامي من جديد انطلاقًا من التراث إلى الثورة وإلى المجال الإبداعي والثوري لبناء حضارة إنسانية جمالية، لتحقيق إنسانية الإنسان، والتي أهدرها الإنسان بنفسه، في خضم الثورة التكنولوجية والثورة البيولوجية التي أحدثها بنفسه ونسي نفسه بنفسه.

لنرجع إلى مقولة سقراط «أعرف نفسك بنفسك»، وقد قالها من قبله (أبادماك)(*) عندما كان ينظر إلى نفسه بمرآة له في يده، ونحن نقول «أدركوا ذلك الإنسان الذي نسي نفسه بنفسه» في خضم الثورة التكنولوجية والبيولوجية التي أحدثها بنفسه.

وعليه ستكون دراستنا من خلال منطلقات مفكري العرب بالإشارة إلى أقوالهم ومحاولتهم المحمومة لاستبقاء العقل العربي في مجرى التاريخ. والانتقال من الإبداع إلى ممارسة الإبداع وتمديد المجال الوظيفي للإنسان من المستوى البيولوجي إلى المستوى الإنساني الإبداعي لكشف الأبعاد الإنسانية.

يعتمد (محمد عابد الجابري) رحمه الله - على منهج التحليل البنيوي يبدأ في قراءته للنص القرآني في محيطه الاجتماعي الخاص، أي بجعله معاصرًا لنفسه ومحيطه الاجتماعي، ويضيف الجابري بأن المصلحة العامة هي الأساس في إتباع النص أو في تجاوزه وفي ارتباط النص بلحظته التاريخية والاجتماعية(١).

ويحاول (محمد أركون) رحمه الله تجديد دراسة الكتاب العظيم وإعادة الفهم، ويطرح مشاكل معقدة بخصوص التفسير لمشاكل عامة تخص وجود الآيات التشريعية في النص الموحى. وهو هنا يطرح مشكلة ثيولوجية لحاجة الفكر الإسلامي إلى اجتهاد تجديدي

(*) أبادماك: إله النوبة في النقعة والمصورات على شكل أسد، بالسودان.

(١) عبد الهادي عبد الرحمن - سلطة النص - قراءات في توظيف النص الديني - الانتشار العربي - القاهرة - صـ٢٢٣.

ثيولوجي على كافة الأصعدة. وقد أراد أركون أن يبين تأثير التوازنات الاجتماعية على تأويل النص.

تجاوز أركون النظرة التراثية (السلفية) والنظرة الاستشراقية إلى الأصول حافزًا ومنقب وإخضاعها للنقد والتفكيك، فلا يقتصر على الأحاديث والتفاسير، فلا يكتفي بتفكيك الأنساق الفقهية والمنظومات العقائدية، بل توغل في نقده وتفكيكه وصولًا إلى الأصل الأول، أي إلى الوحي القرآني[١].

وقد قامت معارك فكرية حول نصوص (نصر حامد أبوزيد) رحمه الله - وهي تؤكد فهمنا لوطأة الحالة الجديدة التي تعيشها الثقافة العربية والإسلامية، ورد النص بالنص إلا بالتسلط الكهنوتي لمعرفة قراءة النص وتجديد المفاهيم القرآنية وتمديد المجال الإبداعي لفهم المعاني وإعطاء فسحة للعقل والفكر الممتد والحرية الإنسانية.

وقد هدف (طيب تيزين) إلى تحليل تطور قضية العالم المادي، الوجود المادي بأشكاله الأساسية ويصبح الإنسان جزءًا مكملًا للوجود المادي[٢].

ويقرر طيب تيزيني أن الحقل الفلسفي يشتمل على ثلاثة أنساق: هي نظرية الوجود ونظرية المعرفة ونظرية الممارسة (الفعل الإنساني)[٣].

وينضم إلى ركب المفكرين العرب وفلاسفتها أو من يتفلسفون - بممارسة الفلسفة - جمع غفير - لا نستطيع حصرهم في مقال - نجد لمن لهم مشاريع فلسفية: أبو يعقوب المرزوقي، حسام الألوسي، طه عبد الرحمن، أحمد عبد الحليم، عبد الله العدوي، ثم أصحاب مواقف فلسفية منهم: إمام عبد الفتاح، أميرة مطر، صلاح قنصوة، سعيد توفيق، عبد الحميد مدكور، مصطفى النشار، عبد الأمير الأعسم، فؤاد زكريا، زكريا إبراهيم، زكريا بشير إمام، فتحي التريكي، محمد عاطف العراقي، محمود حمدي رقذوف، مراد وهبة، ناصيف نصار، يمني طريف الخولي، محمد مهران، عبد المعطي بيومي، محمد السيد الجليند، وغيرهم كثيرين لا يتسع المجال لذكرهم.

---

(١) أحمد عبد الحليم- ما بعد الحداثة- أوراق فلسفية- صـ١٤٤.

(٢) طيب تيزيني: مشروع رؤية جديدة للفكر العربي، صـ٤٠٨.

(٣) طيب تيزيني- الفلسفة العربية المعاصرة- الفلسفة والتراث- صـ٤٠٤.

أما (حسن حنفي) فيضع قواعد سبع لإعادة تركيب النص:

١- تفتيت النص المنقول وتحليله.

٢- إعادة تركيب النص طبقًا للتصور الإسلامي.

٣- إسقاط جميع الأمثلة من ثقافة الغير.

٤- وضع أمثلة أخرى وشواهد جديدة.

٥- إكمال النقص في النص المنقول.

٦- التصحيح وإعادة التحقيق.

٧- إعادة الأطراف إلى الوسط من أجل إكمال التصورات.

وفي خضم الأزمة الفكرية وغياب العقل العربي وفقدان الإحساس بالواقع حتى كان الانهيار، وفي هذا المجال الحيوي يقول (حسن حنفي) «مازلنا نفرق بين الفرق دون محاولة للجمع بين الفرق، كان التصوف حركة مقاومة سلبية بعد استحالة المقاومة الفعلية، ومازلنا ندرس التصوف كحركة خروج من العالم بينما العالم ينزلق من بين أيدينا فاقدين السيطرة عليه، ثم يأتي الغير (الآخر) كبديل ليحل محلنا»[١].

ويلخص حسن حنفي موضوع الانطلاقة الإبداعية بقوله: «يمكن إذن لجيلنا إلى المنطق ككل واحد، منطق العقل الخالص عند الفلاسفة، ومنطق الشعور عند الصوفية، ومنطق الواقع عند الفقهاء، مضيفًا عليه الجدل الاجتماعي ومنطق التاريخ»[٢].

ومن ثم ننتقل إلى (نداءات حسن حنفي) الثورية. فلم يكتف حسن حنفي بالمحاضرات الجامعية لطلابه، وتلاميذه عن بُعد، والكتب التي ألفها ويؤلفها، والمؤتمرات التي يحضرها ويُحضرها في مصر وخارج مصر، والمقالات المحكمة في المجلات المحكمة. بل آثر الكتابة في المجلات والصحف السيارة لينداح فكره إلى الجماهير والقراء والمتابعين.

---

(١) حسن حنفي- مركز دراسات الوحدة العربية- المؤتمر الفلسفي الثاني- صـ٣٧١.

(٢) المرجع السابق- صـ٣٩٨.

فالمحاضرات الجامعية هي دراسات فلسفية جامدة يستوعبها الطلبة على مضض للنجاح في الامتحان، والقلة منهم من يستوعب ما يهدف إليه من إشارات وتنبيهات، كما لا يقرأ المقالات المحكمة إلا المتخصصين فقط، ولا يقرأ كتبه الفلسفية إلا من له خلفية فلسفية- بعض من كتبه موجهة للعامة - أما المؤتمرات العلمية لا يستفيد منها إلا من حضر المؤتمر مقدمًا لورقة أو مناقشًا لورقة أخرى. فكان لابد من الانتشار للجماهير ومخاطبة الشعوب بلغتها، ولهذا لجأ حسن حنفي إلى المقالات السيارة- وهي مغلفة بقيم فلسفية - والتي يقرأها الجميع وذلك لتوسيع دائرة المهتمين وترتيب قاعدة شعبية واسعة قادرة على فهم المقصود الفلسفي.

هذا المنحى منحى ذكي ومهم للنشر المقولات الفلسفية وسط الجماهير والتأثير على عقول الشباب الواعد الناهض - شباب الثورة - ولإيقاظ الشعوب من سباتها المميت واستيقاظ النفس الإنسانية لترى واقعها المنهار، ولإحداث ثورة فكرية وعقلية. وحال العالم العربي والإسلامي لا يخفى على أحد. فكان لابد من هذه (النداءات) لإيقاظ الأمة العربية والإسلامية من نومها وهي في منعطف تاريخي ويقظة عربية لانبعاث ثورة مشعبة (ثورة الربيع العربي) (٢٥ يناير).

ومقالات حسن حنفي الصحفية كثيرة نقتطف منهل بعض من عناوينها:

- لماذا تأخرت قضية الحرية؟
- الإصلاح ضرورة فاعلة.
- حرية الفنان وتقليدية المتلقي.
- الحوار بين الاستعباد والاحتواء.
- الثقافة والسياسة.
- وحدة الثقافة ووحدة الأمة
- الجذب والطرد.
- المواطنة العربية.

- الجسد العربي.
- الأيام الأخيرة للأنظمة!
- الطوفان القادم!
- أين الشارع العربي؟!

أرى أن هذه الطريقة هي طريقة فاعلة وواقعية لإيصال مفاهيم الثورة والتحرر إلى إفهام الناس.

وهذه المواضيع تحوي وترمي إلى الانفعال بقضايا الناس والشعور بآلامهم وآمالهم من خلال الإيقاع الزماني المتغير المتتالي، والإيقاع المكاني المتوالي، والإيقاع الإنساني المتعالي، والإنسان في مكان داخل زمان (انزمكان).

وفي إجابة (حسن حنفي) السؤال وضعه في تساؤله: لماذا تأخرت قضية الحرية؟ ولماذا هذا الصمت العربي إزاء تلك الأحوال المزرية لحياة الشعوب المغلوبة على أمرها، والتي تنادي بالكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية والحرية المدنية، والشعوب العربية تعاني من أزمة فكرية لتحقيق الديمقراطية في مقاومة الاستعمار الخارجي الحديث (والاستحمار) الداخلي. يبدأ بتحرير الفرد لتحرير المجتمع وبناء دولة راشدة وعادلة، وإخراج أمة لبناء حضارة إنسانية جمالية.

وتحت عنوان (الإصلاح ضرورة عاجلة) يقول حسن حنفي بظهور مفاهيم جديدة مثل الإصلاح والنهضة ثم الثورة، ونحن في حالة مخاض حضاري بوجود شيء، ولكن لم يولد بعد![1].

وقد تولدت الثورة في (الربيع العربي) الثورة التونسية، والثورة المصرية، والليبية واليمنية والسورية، حيث كان القهر والتسلط، باستكانة الشعوب المقهورة- الأغلبية الصامتة- ولكنها انتفضت وقضت على الظلم والفساد والإفساد.

(١) حسن حنفي - الإصلاح ضرورة عاجلة - وجهات نظر - العدد ١٠٦٨٨ بتاريخ ٢٠٠٤/٩/١٠م.

ويطرح حسن حنفي سؤالًا هامًا بتساؤله عن كيفية الخروج من نظم الحكم في الداخل، وأزمة الهيمنة الخارجية؟»[١]

هذه هي بعض من إشارات وتنبيهات ونداءات حسن حنفي عن حالة الأمة العربية والإسلامية وهي حال مخاض عسير لتوليد ثورة شعبية بعملية قيصرية، ونداءات خفية مغلفة يجب الأخذ بها والعمل بها.

فلابد لكل ثورة من منظور نظري ودافع فكري ومنطق فلسفي لكي تنتظم الشعوب وتصحوا وتستيقظ من غفوتها الغافلة لتصلح من كبوتها.

وذلك من خلال (نداءات) ومشاريع حضارية ونقل الفكر من النقل إلى العقل وإلى المجال الإبداعي وذلك بإظهار وتأكيد أن الأزمة في أهلها (أزمة فكرية) وهي أس الأزمات المعاصرة من خلال نداءات فلسفية، واندياح للمفاهيم الفلسفية بلغة جماهيرية واضحة ومفهومة، وذلك لفلسفة الفلسفة بالفلسفة، والاستماع الواعي لنداءات حسن حنفي (الخفية) والعمل بها في محاولة إصلاح العالم بإصلاح الفلسفة والفكرالمستنير، فللشعوب الحق في الانتفاضة والثورة لإسقاط حكوماتها الظالمة والفاسدة والمفسدة لتحقيق إنسانية الإنسان، وتحقيق حق الاستخلاف (في) الأرض، ليس بالمعنى الغربي الاستعلائي (الإنسان السوبرمان)، وليس بالمعنى الشرقي والفناء في (النيرفانا)، وليس بمن هو ضائع بين هذا وذاك، بل بالإنسان الحر المستقيم أي الإنسان (النبيل).

فيجب استعادة إنسانية الإنسان، الإنسان القديم (الشامان)، وإنسان المدينة الفاضلة في تل العمارنة (اخيتاتون) وإنسان (كونفشيوس) (النبيل)، وإنسان (المدينة المنورة) الطليعة الباهرة النيّرة. ليعيش الإنسان المعاصر حياته الإنسانية مستخلفًا في الأرض ليعمر الأرض بالإبداع وليس العكس في تحقيق إنسانيته، ومطالب الشعوب المشروعة.

---

(١) حسن حنفي- جريدة الاتحاد- حوار بين الاستبعاد والحواء- العدد ١٠٧٦- بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٥م.

المحور الثالث: يوتوبيا الشعوب والديمقراطية المطلوبة - ما ينبغي أن يكون

يوتوبيا الشعوب والديمقراطية المطلوبة (العدلية):

١- يوتوبيا الشعوب(*)، (أمل الشعوب المقهورة):

عند استقرائنا للتاريخ نجد أن الإنسان تتحكم فيه أحكام وقيود تكبل مسيرته، وحكومات: (أباطرة، ملوك، أمراء، قياصرة، أكاسرة، كهان، تبع، سلاطين، خلفاء، أئمة، وغيرها من مسميات لحكومات تحكمت على شعوبها وقهرتها ومارست الظلم الاجتماعي والقهر المدني عبر عصور التاريخ، والشعوب المقهورة مكبوتة لا حول لها ولا قوة من ظلم الحكام القاهرة. فخرج نفر من قادة ثوريين ضد هذا الظلم ليقترح مدينة فاضلة مثالية، وتجد مدنًا فاضلة كثيرة عبر التاريخ، ولكنها مدن فاضلة خيالية أمل الشعوب للتحرر.

وأول مجتمع فاضل كان عند الإنسان الأول بقيادة (الشامان Shamman)(**) فهو رئيس المجموعة أو القبيلة فهو الطبيب المعالج والقائد، والقاضي، والمحامي، والمرشد، لم يكن (دجالًا) حيث لا مال ولا متاع، ولم يكن (نصابًا) فكل شيء فيه مشاع، وأبرز ما فيه أنه كان (الفنان المبدع) الذي وضع اللمسات الأولى للحضارة الإنسانية، وكان فنهم فن الحياة.

وأول مدينة فاضلة حقيقية كانت مدينة (اخناتون) في تل العمارنة المصرية وقد سماها (اخيتاتون) أي (أفق أتون)، ولم تكن مدينة خيالية مثل المدن الفاضلة الأخرى، كان ذلك في القرن (١٤ ق. م) وتلته يوتوبيا (كونفوشيوس)(***) ويوتوبيا أفلاطون (جمهورية أفلاطون) في القرن الخامس قبل الميلاد ومن ثم ظهرت مدن فاضلة على التوالي:

- مدينة الله للقديس (أوغسطين).

(*) اليوتوبيا Utopia: المكان التخيلي للسعادة البشرية ومثوى الكمال، وهي مدينة فاضلة مثالية خيالية، والمقصود هنا (أمل الشعوب) في الحياة الكريمة، قد يتحقق يومًا ما في تحقيق الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية والحرية المدنية. نجد من قال بنهاية اليوتوبيا، ولكن ستظل اليوتوبيا نداء الشعوب المقهورة، في تحقيق تطلعاتها، اليوتوبيا ثورة وأمل في الخيال، ولابد أن يتحقق.

(**) الشامان الفنان المبدع عاش قبل ٣٠,٠٠٠ عام (ثيولتك)- وضع البدايات الأولى للحضارة الإنسانية (إنسان الكهوف الأول).

(***) دعا كونفوشيوس لمجتمع فاضل يمكن أن يطبق ويتحقق.

- المدينة المنورة- مدينة الرسول ﷺ (دولة راشدة).
- المدينة الفاضلة للفارابي.
- طبيعة الإنسان الاجتماعي واللااجتماعي (لكانط).
- كمال الددولة البروسية عند (هيجل).
- المجتمع اللاطبقي عند (كارل ماركس).
- فكرة الأمة عند (ميكافللي).
- نور العقل عند (فولتير).
- يوتوبيا (توماس مور).

ودراسات عن البنية الحضارية والإنسانية مثل انهيار الغرب لشبينجلار، وصراع الحضارات لهنجينتون، ونهاية التاريخ لفوكوياما، ودراسات فلسفية أخرى أخذت منحى تخليص الشعوب المقهورة من ظلم حكامها، وبناء مدن فاضلة ودول راشدة وحكومة عادلة.

وهذه المدن الفاضلة (اليوتوبيا) عبارة عن تمرد لوضع بناء حالم و إعادة بناء القيم، وهناك يوتوبيا واقعية وفعلية مثل المدينة الفاضلة لاخناتون (اخيتاتون)، ويوتوبيا كونفشيوس قريبة من الواقع والمدينة المنورة، بإنشاء الرسول ﷺ أول دولة راشدة في التاريخ ليس على مثال فلم تكن دولة في الجزيرة العربية خاصة في أرض الحجاز، فكانت دولة المدينة أول دولة قائمة على العدالة والمنهج الإلهي أما باقي المدن الفاضلة فهي خيالية ومثالية لم تتحقق في الواقع المعاش، إلا يوتوبيا اخناتون في تل العمارنة (اخيتاتون) في القرن (١٤ ق.م) والمدينة المنورة في مدينة الرسول ﷺ بل كانت دولة فاضلة مثالية ونموذجًا للمدن الفاضلة في القرن السابع الميلادي، وعليه نريد تحقيق آمال الشعوب المقهورة أن تعيش وتحيا حياة إنسانية في (يوتوبيا الشعوب) التي انتفضت على حكوماتها الظالمة في تحقيق حلم الشعوب في القرن الحادي والعشرين الميلادي. من خلال تربية الإنسان القادم (جيل النصر) ببناء (الفرد الفاضل) و(المجتمع المتكافل) و(حكومة عادلة) و(ودولة راشدة) و(أمة حضارية) لتحقيق إنسانية الإنسان.

وأسباب الثورات الشعبية:

١- الحكم الظالم والفاسد المفسد.

٢- تقريب ذوي الولاءات واستبعاد ذوي الكفاءات.

٣- قضية التوريث، والحكم الأسري والفئوي.

٤- الاستهتار بمقدرات الشعوب ومحاولة إذلالها.

٥- عدم تفجير طاقات الشباب المكبوتة.

٦- التحكم بأجهزة الأمن القامعة.

٧- استحمار الشعوب واستغلالهم.

٨- تحويل مدخرات الشعوب إلى حساب فئة خاصة ضالة.

٩- الإفقار المتعمد للجماهير وتجويعهم ليكونوا تابعين.

١٠- إهمال الثروات المخبوءة.

١١- عدم وجود فلسفة واضحة للحكم.

١٢- عدم معاقبة المختلسين والمرتشين من رجال الدولة.

١٣- الكذب والنفاق والغش وأكل المال الحرام.

١٤- الزيادة المطردة للشباب العاطل عن العمل.

١٥- تسييس الدين لأغراض دنيوية دنيئة.

١٦- عدم توزيع الثروة، والمشاركة في السلطة.

١٧- تقييد الإعلام وجعله في خدمة الحكومات.

١٨- وضع الشرطة والأجهزة الأمنية في خدمة الحكومات.

obeikandl.com

١٩- احتكار فئة قليلة كل مقدرات الدولة.

٢٠- الصرف لا يناسب الدخل- والصرف البذخي للدولة.

٢١- الغلاء غير المبرر في كل المناحي.

٢٢- تهميش المناطق الطرفية.

٢٣- إهمال الشباب الصاعد وتهميش العلماء.

٢٤- إهمال الطبقة الوسطى وسقوطه للقاع.

٢٥- تمكين المقربين للحكومة على حساب الشعب.

٢٦- صناعة الفقر والجوع والمرض والجهل والتجهيل.

٢٧- الحرية المسلوبة، والكرامة المهانة، والعدالة المفتقدة.

٢٨- إهدار إنسانية الإنسان، وقهر الشعوب المغلوبة على أمرها.

٢- الديمقراطية المطلوبة وتحقيق آمال الشعوب المقهورة:

أ- الحكم حكم (بين) الناس وليس حكمًا (على) الناس:

كما رأينا في المحور الأول - ما كان - ثم - ما هو كائن - للثورة المصرية في الماضي والحاضر في يوتوبيا الشعوب وآمالها من خلال آلامها لوضع يوتوبيا جديدة لحكم الشعب لنفسه بنفسه، وقبل ذلك لنرى مفهوم الحكم نفسه ومفهوم الدولة، انحراف مخل لمفهوم الدولة.

الحكم ليس غاية، بل الحكم وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية وتكوين دولة راشدة، والدولة نفسها ليست غاية بل أيضًا وسيلة لتحقيق الحكم الرشيد، وهناك فرق بين حكومة ودولة، فالحكومات زائلة بزوال أفرادها، أما الدولة فهي باقية ببقاء شعوبها. استخدام كل اجهزة الدولة لخدمة الحكومة و إهمال الشعب وتهميش المناطق الطرفية.

ما ذكرناه في هذا المحور من الأسباب المنطقية لانتفاضة الشعبية.

فالحكم هو حكم (بين) الناس وليس حكمًا (على) الناس فلم ترد آية واحدة أن الحكم هو حكم (على) الناس، وقد وردت اثنتا عشرة آية عن الحكم (بين) الناس: (البقرة - ٢١٣) (النساء- ٥٨/ ٦٥/ ١٠٥) (آل عمران- ٢٣) (المائدة- ٤٢- ٤٨- ٤٩) (النور- ٤٨- ٥١) (ص- ٢٦) وكلها مدنية حيث الدولة إلا الآية ٢٦ من سورة ص مكية، والمخاطب هنا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى. فأي حق يتحكم الحكام! على الناس.

الحكومة وسيلة لدولة، والدولة وسيلة لتحقيق العدالة والمطالب الإنسانية السبعة في تحقيق: «الأمن، الطمأنينة، الحرية، العدالة، السلام، الرخاء، الرفاهية».

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

هناك من يفسر الآية الكريمة إن طاعة أولي الأمر واجبة كطاعة الله ورسوله، يعني ذلك عدم الخروج عن طاعة أولي الأمر، وهو تفسير (فقهاء السلطة).

ولكن الأمر ليس كذلك فكلمة طاعة مكررة في طاعة الله وطاعة رسول الله ولم تتكرر في (أولي الأمر) لأنهم أي أولي الأمر مأمورون بقوله (يا أيها الذين آمنوا) واللفظ في (أولي الأمر) وليس (ولي الأمر)، وتقول الآية أولي الأمر (منكم) وليس (فيكم أو عليكم) بمعنى أن (أولي الأمر) جاؤا منكم ولم يؤمروا عليكم وإن كان هناك نزاع فالمرجعية لله والرسول وليس أولي الأمر، والله هو ولي الأمر والحكم، وليس لأحد أن يكون وليًا للأمر، فليس هناك ولي للأمر إلا الله جل جلاله.

والآية واضحة لا تحتمل أي تفسيرات أخرى مخلة، فقد فسرها أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما قال في يوم استخلافه «أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم» هذا هو أبو بكر أول من آمن من الرجال الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما عرضت إلا الإسلام على أحد إلا كانت به كبوة إلا أبو بكر لم يتلعثم، كيف يتلعثم وهو القائل ليلة الإسراء والمعراج «إن كان قد قال فقد صدق» وهذه المقولة الصديقية موجهة إلى أمة محمد ﷺ.

أما الخليفة الثاني عمر الفاروق عندما قال: «إن استقمت فاعينوني، وإن اعوججت فقوموني» إن إعوج عمر فمن يستقيم، وأقواله وأفعاله مشهورة خاصة في قولته «كفى آل الخطاب أن يحاسب فيهم عمر» وكتب خطابًا إلى نيل مصر «من عمر إلى نيل مصر...».

هذه الآية تؤكد إن طاعة أولي الأمر ليست مطلقة - ولا طاعة - ووجوب الخروج على أولي الأمر إن لم يطيعوا الله ورسوله. إذن الخروج على الحكام واجبة بأسبابها.

والخروج على الظلم والفساد والانحراف سنة وقد قاد الرسول ﷺ أول مظاهرة في الإسلام وذلك عندما أسلم عمر الفاروق واعتراضه على الآذان الخافت داخل دار الأرقم وأشار على الخروج وإعلان الإسلام، فخرج المسلمون بقيادة رسول الله ﷺ وحمزة عن يمينه وعمر عن شمال، رفضًا للواقع المنهار وخروجًا على البيئة الجاهلة والظالمة الفاسدة. بل إن الأديان تأتي لتلبية نداءات الشعوب بالخروج عن الواقع المنهار رفضًا للظلم والفساد.

فعلى حكام العالم رفع أياديهم الظالمة عن كاهل الشعوب المظلومة، كما أن القاتل والمقتول في النار، فإن الظالم والمظلوم كلاهما محاسب، الظالم بظلمه، والمظلوم في تقبله لظلم الظالم وتزيين الظلم للظالم، ويا شعوب العالم ارفضوا ظلم الظالم وفساد حكامهم الفاسدين والمفسدين، وأخرجوا عن طاعة الظلمة، وثوروا ضد الفساد والإفساد.

ب- الحكومة الإلكترونية والمجتمع المعرفي الفاعل:

الثورات العربية تطالب بالديمقراطية، ولكن الديمقراطية الممارسة الآن ديمقراطية عرجاء ومشوشة حتى الديمقراطية الغربية منقوصة لا تحقق مطالب الشعب في حكم نفسه بنفسه. إلا أنها أول درجات الحرية، فالديمقراطية التي نريدها هي الممارسة الفعلية والفاعلة لحكم نفسها بنفسها بوضع القرارات والتنفيذ والمراقبة والمحاسبة، ولكن الديمقراطية الانتخابية لا تحقق هذه النتائج فالديمقراطيات الممارسة المنتخبة، دور الشعب فيها ميكانيكي فقط، بوضع الناخب لصوته في الصندوق الانتخابي فقط وليس له أي دور آخر، حتى ينتهي دوره في ذلك الصندوق المختوم بالشمع الأحمر، هذا إذا كانت الانتخابات سليمة بعيدة عن التزوير خاصة في الانتخابات في البلدان العربية حيث يفوز حزب الحكومة بثلاثة تسعات ٩٩,٩٪ تسعة وتسعون وتسعة من عشرة!

أما الديمقراطية التي ندعوا لها تكون بخلق مجتمع معرفي ومعلوماتي، وحكومات إلكترونية. وذلك بطرح أمر الدولة على الناس أجمعين وكل يقدم ما لديه ورأيه إلكترونيًا، وكل الأفعال وممارسات الحكم تكون مكشوفة لدى الجميع في وضع القرار والتنفيذ والمراقبة حتى المشاركة- أي بأن يشترك كل الشعب في كل حركة من حركات الدولة.

يكون بتنمية الإنسان فكريًا وتقنيًا وتحقيق التنمية الفكرية والموازنة مع الثورات الإلكترونية والتقنية المتسارعة من خلال نظرة نقدية وتأصيلية باستخدام المنهجية الحديثة والتقنية الحديثة من خلال مرجعية أصولية وتراثية لغايات إبداعية.

ووضع الشعوب أمام مسئوليتها مع كل الخطوات من خلال سلوك معرفي لمجتمع المعرفة، لتحقيق حق الاستخلاف في الأرض، وأي إنسان مستخلف في الأرض مهما كان.

هناك ثورات متتابعة فلابد من أنساق معرفية وقيمية أمام هذه الثورات العلمية.

١- ثورة إلكترونية وتقنية - (مخترعات وفن إبداعي) تقابلها ثورة جمالية.

٢- ثورة معلوماتية - (هندسة وحاسوب) - تقابلها ثورة فكرية وعلمية.

٣- ثورة بيولوجية - (طب وعلوم أحياء) - تقابلها ثورة أخلاقية.

ثورات علمية ثلاثة تقابلها ثورات قيمية من خلال تناسق ابستمولوجي (معرفي) بينهما:

تناسق معرفي (ابستمولوجي)

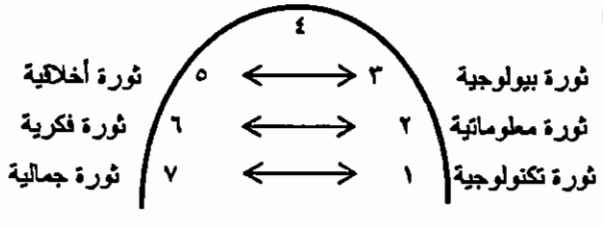

المنحنى السباعي للتناسق المعرفي

بين الثورات العلمية والثورات القيمية المقابلة لها

ونضع أمامكم السلوك المعرفي لمجتمع المعرفة في خطوات سباعية لتكوين (الدولة العادلة) المرتقبة:

١- تعريف بالمصطلحات والمعاني بتآلف المتخالفين، والحكم (بين) الناس بالعدل وبناء دولة لإخراج أمة وبناء حضارة إنسانية جمالية لتحقيق إنسانية الإنسان المنسي.

٢- تعريف لمعنى الحرية والحكم الرشيد والدولة الراشدة العادلة المنهجة بتوزيع الثروة والمشاركة الفعلية في السلطة بلا تسلط، وفي الحكم بلا تحكم.

٣- محو الأمية الحضارية: الأبجدية - القيمية - الاقتصادية - العقائدية - المعرفية - العلمية - الحاسوبية - السياسية - الجمالية - القانونية.

٤- التحول من الميكانيكية العمياء إلى الديناميكية الإبداعية، ومن الإتباع إلى الإبداع وبتحويل المجتمع من تابع إلى رائد، وتفجير الطاقات الشبابية الكامنة، والاستخدام الأمثل للثروات المخبوءة، حتى لا ندوس على الياقوت في بحثنا عن القوت.

٥- توظيف التكنولوجيا في خلق مجتمع معلوماتي لتكوين (مجتمع معرفي) فاعل، وحكومة إلكترونية، وتكريم العلماء بالاستفادة من خبراتهم وتجارهم ومؤهلاتهم العلمية والحياتية، والدخول في (المارثون الحضاري) في الساحة الفكرية المكشوفة.

٦- تحقيق مطالب الشعوب السبعة «الأمن - الطمأنينة - الحرية - العدالة - السلام - الرخاء - الرفاهية» من خلال المحبة.

٧- خلق الإنسان الحر المتحرر، وتربية الإنسان القادم - جيل النصر - (الخاشع النقي، والمبدع التقي، والحر الوفي (بالتخلي والتحلي والتجلي)، بالتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل، والتجلي بالتسامي والتعالي عن الدنايا والخطايا والرزايا، والعيش في المستويات العُليا الرحبة. بتحقيق الاستخلاف في الأرض لتعمير الأرض بالإبداع والعمل الصالح، وعمل ممتد لدنيا فانية مؤقتة إلى آخرة باقية أبدية، وحساب مرتقب في النقير والقطمير.

أما موضوع الحكومة وكيف تؤسس وفي اختيار وزرائها، نرى أن يُنتخب الوزير من خلال العاملين في وزارته، مثلًا (وزير الصحة) ينتخبه الأطباء والصيادلة ومن يعمل في الحقل الصحي، و(وزير الزراعة) ينتخبه المزارعون والزراعيين، و(وزير التعليم العالي) ينتخبه الأساتذة والعاملين في الجامعات، كذلك الشرطة والأجهزة الأمنية تنتخب (وزير الداخلية)، والقوات المسلحة تنتخب (وزير الدفاع). وهكذا كل وزير يأتي بالانتخاب، أي وزراء متخصصين، وليسوا سياسيين، على أهل السياسة أن ينتخبوا (وزير الخارجية) فقط.

ولا يكون الوزير لوحده بل ينتخب معه نائبًا للوزير ومستشار له، على أن يكون نائب من الشباب (Blach head) وعمره ما بين (٢٠-٤٠) والوزير (Gray head) وعمره ما بين (٤٠-٦٠) والمستشار (White head) وعمره ما بين (٦٠-٨٠) ليعمل الوزير من خلال اندفاع وثورية الشباب وحكمة الشيوخ وتجاربهم.

تجنب المفاسد السبعة: الفساد الاقتصادي، والفساد الأخلاقي، والسياسي، والمهني، والإداري، والأمني، والإعلامي.

وإطلاق الحريات السبعة: استقلال القضاء، حرية الصحافة، حرية النقد والحوار، حرية الانتخاب، حرية الكلمة والتأليف، حرية العبادة، تحرير المرأة.

وتوظيف الفلسفة النظرية في الجانب العملي: فلسفة الأخلاق العملية والمهنية، فلسفة التنمية، الأخلاق الطبية، نظرية المعرفة، علم النفس الفلسفي، فلسفة التربية، محو الأمية الحضارية، فلسفة التاريخ والحضارة، فلسفة الذكاء الاصطناعي، فلسفة العلوم، فلسفة السياسة. بتطبيق المفاهيم الفلسفية في الحياة الواقعية المعاشة.

ولابد من ملاحظة لموضوع هام في اختلاف الأدوات، أدوات التحضير للثورة، تختلف عن أدوات تفجير الثورة، ثم أدوات تحقيق أهداف الثورة وصيرورة الثورة، أي ما قبل الثورة وأثناء الفعل الثوري ثم ما بعد الثورة.

وعلى القوى الشبابية والحزبية أن تتآلف كما تآلفت في ميدان التحرير، وعلى كل الشعوب العربية أن تتآلف في ثوراتها وما بعد الثورة لتحقيق أهداف الثورة.

الخاتمة والتوصيات

إذا ما تتبعنا مسار الثورة المصرية المستمرة، فالثورة المصرية لها جذورها المتجذرة في أعماق التاريخ - في سيطرة وتحكم حكام (فراعنة)، وغضب شعبي وتمرد ورفض خفي، وصاحبت هذه (الثورة الصامتة) رؤية فكرية. بدءًا بثورة (بتاح حتب) ومناداته بالعدالة (الماعت) وثورة (اخناتون) واستمرت الثورة في الخفاء، حتى ظهرت علنا في (٢٥ يناير) بعد أن وصل الشعب إلى حد اليأس ما بين الألم والأمل، وقد نجحت الثورة في انتفاضتها في ثورة (الربيع العربي) من خلال تآلف الثنائيات المتخالفة في (ميدان التحرير) من نداءات (بتاح حتب) و(اخناتون) حتى نداءات (حسن حنفي).

وعليه يجب البحث عن طريق جديد ومستحدث للحكم واستبعاد الطرق الكلاسيكية والتقليدية. فالديمقراطية (الانتخابية) لا تحقق حكم الشعب لنفسه بنفسه - كما وضحنا ذلك - وللأحزاب ديكتاتوريتها المتوارية (القطيع التابع.

ولهذا نقترح اتخاذ نظامًا جديدًا لحكم الشعب لتحقيق (الديمقراطية العدلية)، بدون قوى حزبية متحزبة وتكتل سياسي مريب، والمتحزبين لا يتعدون ٢٠٪ من تعداد الناس فالحكومات متحكمة فتحكم لتتحكم وكذلك المعارضة تتطلع وتريد أن تحكم لتتحكم أيضًا. فالأحزاب العقائدية، والطائفية، والجهوية تعمل من أجل نفسها على حساب الشعوب، والشعوب بعيدة عن سدة الحكم، لا حول لها ولا قوة مغلوبة على أمرها وبعيدة عن المشاركة، ولهذا نحذر الأحزاب ألا يجهضوا الثورة الشبابية.

وعليه قدمنا اقتراحًا للحكم (العدلي) فنقترح بتحويل الوزارات السياسية إلى وزارات عملية وتخصصية وتنفيذية يُنتخبون من خلال الوزارة نفسها، من خلال (ثالوث) وزير ونائب ومستشار ومجلس استشاري لكل وزارة، ومجلس شيوخ مرجعي.

وقد استخدمت الثورة الشبابية القوى الإلكترونية والتقنية الحديثة (الفيس بوك) و(التويتر) و(الإنترنت) وكل الوسائل العلمية المستحدثة، والتكنولوجيا الحديثة.

فيجب استخدام هذه التقنية لما بعد الثورة بأن يشارك الشعب في وضع القرار والمراقبة والمحاسبة لتحقيق حق الاستخلاف - وكل إنسان مستخلف - وكلكم راعٍ، نحن مواطنون لا رعايا، مستخلفون في الأرض لتعمير بالإبداع، مع اصطحاب الإيقاعات الثلاثية:

١- قراءات ثلاثة بـ(الوحي/ والكون/ والنفس).

٢- والإيقاعات الثلاثة: في (الزمان/ والمكان/ والإنسان).

٣- عبر المعابر الثلاثة: بـ(الاعتقاد، والاختيار/ والإبداع).

٤- ليكون: (خاشعًا نقيًا/ ومبدعًا تقيًا/ وحرًا وفيًا).

٥- من خلال (التخلي/ والتحلي/ والتجلي).

٦- والأسر المطلوب في (الحرية)، والمحبوب في (الحب)/ والمرغوب في (الجمال).

٧- لتحقيق (الحرية المدنية/ والعدالة الاجتماعية/ والكرامة الإنسانية).

وذلك بخلق مجتمع معلوماتي ومعرفي ليشارك الجميع في الحكم، فالحكم حكم (بين) الناس وليس حكمًا (على) الناس، ليحكم الشعب بنفسه لنفسه على نفسه، من خلال استقامته، عندما يستقيم الإنسان فتستقيم حياته باستقامته، ليستعيد كرامته المهدرة منذ عصور ليكون القرن الواحد والعشرين قرن الإنسان.

باستقامة الفرد، لينتج مجتمعًا متكافلًا، لإحداث حكومة (عادلة) ليست دينية ولا مدنية، بل ما بينهما من وسط معتدل (عدلية) لتكوين دولة راشدة، وأمة رسالية، وحضارة جمالية يرفع رايات الحرية الثلاثة: لا استعباد، ولا استغلال، ولا استبداد.

أساس الفساد هو اقتران الفساد الإداري مع الفساد المالي، أي ربط السلطة بالثروة، ومن أجل الثروة بتكالب الأفراد والجماعات والفئات سواء كانت حزبية أو غيرها نجد أن السلطة جالبة للثروة وليست جالبة للثورة، فيجب فصل السلطة عن الثروة.

وعليه يجب جعل السلطة غير جاذبة، بل طاردة بمعنى من المعاني وأن تكون المناصب الحكومية وكرسي الحكم هو كرسي على (صفيح ساخن)، وذلك بوضع المسئول أمام

مسئولية مسؤلة تحت الرقابة والمحاسبة والمحاكمة الفورية، لتحقيق (الكرامة الإنسانية، والعدالة الاجتماعية، والحرية المدنية). وبهذا يكون (الشعب) هو مصدر السلطات في القرار والإقرار والمراقبة والمحاسبة والمحاكمة.

ليس المُراد ثورة (انقلابية) واستبدال حكومة بحكومة، بل هو تغيير أسلوب الحياة وليس المهم من يحكم؟ بل كيف يحكم؟ في تحقيق المطالب الشعبية المشروعة في حكم نفسها بنفسها وهي «الديمقراطية الحقيقية المطلوبة العدلية» في تحقيق إنسانية الإنسان عندما يكون خاشعًا نقيًا، ومبدعًا تقيًا وحرًا وفيًا، بالتخلي والتحلي والتجلي.

قالها (بتاح حتب) وفعلها (اخناتون)

وقالها (حسن حنفي) وفعلها (شباب الثورة)